'سلاح' النفط في مواجهة النفوذ الغربي قادم من ماليزيا؟!

05-10-2002

وتبدو رؤى محاضر ذات معنى، إذا أعاد منتجو النفط من الدول المسلمة النظر في منطق تعاملهم وتصرفوا باعتبارهم صمام أمان السوق العالمية أكثر من كونهم مستهلكين، فإنه بإمكانهم التأثير بشكل فعال في الأحداث العالمية. لكن ثمة عقبتين تعترضان هذا المسعى، الأولى أن البلدان الإسلامية ليسوا المنتجين الوحيدين للنفط، كما أن النفط سلعة قابلة للإستبدال، العقبة الرئيسية الثانية أمام هذا الإقتراح أن منتجي النفط من البلاد المسلمة يشعرون بأن مصالحهم المحلية مهدّدة وفي خطر، ويكاد هذا الهاجس أو الشعور يهيمن على طبيعة تعاملهم مع نفط بلدانهم وبأساليب مختلفة. العربية السعودية، بما تملك من فائض هائل من النفط والقدرة على تعديل ناتجها بشكل جذري، تعتقد بأنها مسيطرة على معادلة الطلب والتوفير، بينما الأمر يختلف بالنسبة للمنتجين العرب والمسلمين الآخرين، وهذا إما لأنه لا يتوفر لديهم هامش للمناورة، أو بسبب حاجات وقيود محلية. وهذا الوضع غير المستقر وغير المنسجم اشتكى منه رئيس

أوضح رئيس الوزراء الماليزي محاضر محمد في 3 أكتوبر المنصرم بأنّ دول العالم الإسلامي يمكن أن تستعمل النفط كـ"سلاح" لـ"تتجنّب إستغلالا مريعا" من الأمم الأخرى. وأضاف محاضر بأن التّشاحن بين منتجي النفط من الدول الإسلاميّة قد "حرم" العالم الإسلاميّ تأثيره الوحيد في التّعامل مع باقي العالم..و يحاول محاضر (الذي ستترأس بلاده منظّمة المؤتمر الإسلاميّ في العام 2003) بهذا الخطاب الجريء تشجيع وتفعيل الدّول الإسلاميّة و منظّمة المؤتمر الإسلاميّ, إلا أن تعليقاته وأراءه كشفت -بدلا من ذلك- ضعف المنظمة الأساس وغياب التأثير والفعالية لطاقمها. كما دعا خلال مداخلته في اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمم الإسلامية وبشكل خاص أعضاء الأوبك، لحشد وتعبئة جهد مشترك لإعادة تأكيد قوّتهم

عبر "سلاح النفط"، كما انتقد رئيس الوزراء الماليزي المواقف السابقة لمنتجي النفط من الدول المسلمة.ويرى المراقبون بأن التعليقات الأخيرة لمحاضر تشكل جولة جديدة من محاولته الأوسع لإعطاء حياة جديدة في تنظيم المؤتمر الإسلامي، من خلال الإقتراح بأن تلعب دول العالم الإسلامي ورقة النفط. ولا يخفي رغبته في تشجيع الأعضاء الـ 57 في المنظمة للعمل المشترك لمواجهة الضغوط الخارجية، رغم فشل فكرة توحيد دول العالم الإسلامي وحشده لاستعمال سلاح البترول، وبهذا، يكون رئيس الوزراء الماليزي قد كشف مجددا الضعف الأساس لمنظمة المؤتمر الإسلامي في سياق الإشارة إلى المصدر المركزي لقوتها!.لعدّة سنوات، ومحاضر يحاول حشد الجهود داخل منظمة المؤتمر الإسلامي، وكذا في أروقة رابطة الأمم الآسيوية الجنوبية الشرقية ASEAN لتهيئة الأجواء لوحدة إسلامية ووحدة آسيوية. لكن إرادة الفشل والضعف (في كلتا المؤسستين) أقوى وقد تكون أبقى إلى أجل غير مسمى، وانزعج كثيرا من أجواء التنافس المحمومة بين الأطراف والتكلات الفاعلة والمهيمنة، والتي جعلت من المنظمتين منتدى للنقاش ليس إلا. و يحاول حاليا تعزيز معنى الثقة بالنّفس بين الأمم الإسلامية بإثارة قضية النفط. حيث صرح قائلا :" النفط هو السلاح الوحيد الذي يملكه المسلمون ويحتاجه بقية العالم"، و أنه : " بسبب هذا المكسب، فإن الأمم المسلمة بإمكانها تحديد كمية ومقدار احتياج وطلبات الآخرين، وإذا ما قللت الإمدادات الموجهة للآخر المستكبر، فإن الشعوب ستخفف من ضغوطها على حكامها!".وتبدو رؤى محاضر ذات معنى، إذا أعاد منتجو النفط من الدول المسلمة النظر في منطق تعاملهم وتصرفوا باعتبارهم صمام أمان السوق العالمية أكثر من كونهم

مستهلكين. فإنه بإمكانهم التأثير بشكل فعال في الأحداث العالمية. لكن ثمة عقبتين تعترضان هذا المسعى، الأولى أن البلدان الإسلامية ليسوا المنتجين الوحيدين للنفط، كما أن النفط سلعة قابلة للإستبدال، العقبة الرئيسية الثانية أمام هذا الإقتراح أن منتجي النفط من البلاد المسلمة يشعرون بأن مصالحهم المحلية مهدّدة وفي خطر، ويكاد هذا الهاجس أو الشعور يهيمن على طبيعة تعاملهم مع نفط بلدانهم وبأساليب مختلفة. العربية السعودية، بما تملك من فائض هائل من النفط والقدرة على تعديل ناتجها بشكل جذري، تعتقد بأنها مسيطرة على معادلة الطلب والتوفير، بينما الأمر يختلف بالنسبة للمنتجين العرب والمسلمين الآخرين، وهذا إما لأنه لا يتوفر لديهم هامش للمناورة، أو بسبب حاجات وقيود محلية. وهذا الوضع غير المستقر وغير المنسجم اشتكى منه رئيس الوزراء الماليزي، باعتبار أنه يعمق الهوة بين الدول المسلمة ويفقدها الإرادة لمحاولة استعمال النفط كسلاح، وبإعلانه أن النفط يمكن استعماله كأداة لتعزيز التضامن العربي والإسلامي، فإن محاضر يبدو أنه أصيب بشظايا المنطق الدائري : إستعمال النفط كأداة ستمنح الدول إسلامية نقطة دفع مركزي لتحقيق الوحدة، لكنّهم يجب أن يتوحّدوا لإستعمال النفط كأداة ضغط!.وفي كل الأحوال، فإن آراء محاضر تعكس تصميما وإرادة واعية لتعزيز صورة العالم الإسلامي ومواجهة نفوذ الولايات المتحدة وإن بشكل محدود، ومن الإجحاف أن تصنف ضمن الخطابات الاستهلاكية. و ترك انطباعا لدى المراقبين بأن رئيس الوزراء الماليزي يطمح إلى توجيه سياسات التصدير للمنتجين الأساسيين للبترول من الدول الإسلامية.ويبدو أن محاضر عنده رغبة حقيقية (بقطع النظر عن حجمها) لإضعاف العلاقات مع

الولايات المتّحدة أو أوروبا، ضدّ الخاضعين للتوجيه الذين يشكل نفطهم تهديدا. وفي اليوم نفسه الذي تكلّم فيه رئيس وزراء ماليزيا عن إستعمال النفط كسلاح، أشار في خطابه بأن ماليزيا تريد تعاونا كاملا مع المنشآت الأجنبية والمستثمرين الأجانب، طالما أن هذا هو "مفتاح" تحول ماليزيا إلى أمة قوية ومتطورة؟!.

للعودة للأعلى